المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٤ — الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٢

رؤساء النظارات المصرية

(١) نوبار باشا

ان تقسيم خطط الدولة على جماعة من النظار يشتغل كلٌّ منهم بفرع او اكثر منها قديم في القطر المصري ولكن تعيين رئيس للنظار يختار نظارهُ كما يشاء حديث فيهِ لم يجرِ عليهِ الأ في عهد اسمعيل باشا الخديوي الاسبق وذلك بعد ان تمكَّن الاوربيون من جعلهِ يستدين منهم اموالاً طائلة فقيَّدوا البلاد بها واشاروا عليهِ ان يقيم ناظراً للمالية يجمع الضرائب من البلاد ويفرزمنها ما يكفي لا يفاء ربا الدين فعمل بمشورتهم وقال للسر رفرس ولسن من لجنة التحقيق «ان بلادنا لم تعُد افريقيَّة بل صارت جزءاً من اوربا ولذلك يحسن بنا ان نترك اساليبنا القديمة ونقتبس اسلوباً جديداً مطابقاً لمقتضيات الاجتماع الحاضر ويجب ان لا نكتفي بالقول بل نقرن القول بالفعل وسأثبت لكم انني مصمِّم على ذلك وعقدت عليهِ عزيمتي». ثم استدعى نوبار باشا وطلب منهُ ان يؤلف وزارة مسئولة لتحكم البلاد معها وبها. فالَّف نوبار باشا اول وزارة مصرية مستقلَّة وتولَّى هو نظارة الخارجية والحقانية وعيَّن رياض باشا ناظراً للداخلية والسر رفرس ولسن للمالية والميو ده بلنيير للاشغال العمومية وكان ذلك في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨

وذكر لورد كروس تلك الوزارة بالمدح في كتابهِ واثنى على نوبار باشا وقال انهُ كان يرى وجوب استقلال الوزارة عن الخديوي لكي تبقى حرة في بحثها وعملها وهذا كان رأي السر رفرس ولسن ايضاً ولكن لورد ڤيان معتمد انكلترا في القطر المصري حينئذٍ كان مخالفاً لهما في الرأي وعندهُ انهُ لا يمكن اقصاء الخديوي عن مجلس النظار ولا يمكن العمل بدونهِ لشدَّة سطوتهِ في البلاد وهذا كان رأي لورد كروس ايضاً

ودامت وزارة نوبار باشا هذه من ٢٨ اغسطس سنة ١٨٧٨ الى ١٩ فبراير سنة ١٨٧٩ ثم تولى رئاسة الوزارة ثانية من ١٠ يناير سنة ١٨٨٤ الى ٨ يناير سنة ١٨٨٩ وثالثة من ١٦ ابريل سنة ١٨٩٤ الى ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ . وكانت وفاتهُ في ١٣ يناير سنة ١٨٩٩ . وقد كتبنا ترجمتهُ بالتفصيل في مقتطف فبراير تلك السنة

(٢) شريف باشا

كان في وزارة نوبار باشا الاولى ناظر انكليزي وناظر فرنسوي كما تقدم وكأنهما اغفلت مقام الخديوي في ادارة شؤون البلاد فثار عليها فريق من ضباط الجيش وحضروا نوبار باشا والسر رفرس ولسن في نظارة المالية وانتهى الامر باستعفاء نوبار باشا وتعيين البرنس توفيق باشا رئيساً للنظار بدلاً منهُ وكان ذلك في ١٠ مارس سنة ١٨٧٩ وكان عمرهُ ٢٧ سنة ولكنهُ اضطرَّ ان يستعفي بعد قليل . وطلب الخديوي من شريف باشا ان يؤلف وزارة يكون اعضاؤها كلهم من الوطنيين فالفها ولكنهُ لم يستطع اصلاح الحال . وكان الماليون الاوربيون قد اقنعوا دولهم بان لا بدَّ من اعتزال الخديوي اسمعيل باشا فاتخذت الباب العالي بذلك وصدرت الارادة السلطانية باشتمال الخديوية المصرية الى توفيق باشا وذلك في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ فابقى شريف باشا رئيساً للنظار وطلب منهُ ان يؤلف وزارة جديدة فعرض عليهِ شريف باشا صورة قانون اساسي للبلاد اي حكومة دستورية فلم يقبل الخديوي بها فاستعفى شريف باشا . واراد الخديوي حينئذٍ ان لا يعين رئيساً للنظار بل يتولى رئاسة النظار بنفسهِ ثم رأى ان ذلك ليس مما يمكن العمل بهِ لانهُ قد تحدث مشاكل لا يمكن التخلص منها الاَّ باستعفاء الوزارة فاذا كان هو رئيساً لها اضطرَّ ان يتنازل عن الخديوية فعدل عما قصدهُ واستدعى رياض باشا لتأليف الوزارة وحفظ لنفسهِ الحق ان يرأس مجلس النظار وقتما يريد

واعيد شريف باشا الى رئاسة الوزارة المصرية في بدء الثورة العرابية عاد اليها على غير ارادتهِ لانهُ قال انهُ لا يقبل وزارة دعاهُ اليها جند متمرد ولكنهُ رأى من الحاجة اعيان البلاد عليهِ ومن وعود معتمدي انكلترا وفرنسا ما اقنعهُ بالقبول . ثم وجد ان الاعيان يطلبون ان تكون حكومة البلاد دستورية نيابية وان تكون ميزانية الحكومة تحت مراقبة نواب البلاد والشرط الاخير لم ترضَ بهِ فرنسا ولا انكلترا . ولما اخبر شريف باشا مجلس الاعيان بما قرَّ عليهِ قرار فرنسا وانكلترا ذهب وفد منهم الى الخديوي وطلبوا منهُ تغيير الوزارة حالاً وقدموا اليهِ نسخة من قانون اساسي ليوقعها وقالوا ان النظر في ميزانيتنا ليس من المواضيع

التي يحق للدول الاجنبية ان تباحثنا فيه فاجابهم الى طلبهم وعين محمود باشا سامي رئيساً للنظار وذلك في ٥ فبراير ١٨٨٢ .

واعيد شريف باشا الى رئاسة النظار في ٢٧ اغسطس سنة ١٨٨٢ . اي وقت استفحال الثورة العرابية وبقي في الوزارة الى ان رزئت مصر بثورة السودان واشتد خطبها ورأت انكلترا انهُ لم يكن في الامكان قمع الثورة وارجاع سلطة الحكومة الى تلك الربوع ولا بد من ترك السودان حينئذٍ فقال قولهُ المشهور ان تركنا السودان فالسودان لا يتركنا واعتزل خطط الحكومة ثم توفي في ربيع سنة ١٨٨٧ . وقد ذكرنا ترجمتهُ بشيء من الاسهاب في مقتطف مايو تلك السنة

(٣) رياض باشا

تولّى رياض باشا رئاسة النظار ثلاثاً الاولى من ٣١ سبتمبر سنة ١٨٧٩ الى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨١ والثانية من ٩ يونيو سنة ١٨٨٩ الى ٣١ مارس سنة ١٨٩١ والثالثة من ١٩ يناير سنة ١٨٩٢ الى ١٤ ابريل ١٨٩٤

وكل الذين كتبوا عن مصر من الشرقيين والغربيين اجمعوا على مدح رياض باشا ووصف ما امتاز بهِ من علو الهمة واصالة الرأي . قال لورد كرومر في كتابهِ مصر الحديثة ان حياة رياض باشا السياسية يمكن ان تقسم الى اربع مدد مختلفة الاولى كناظر وأحد اعضاء لجنة التحقيق في عهد اسمعيل باشا . والثانية كرئيس للنظار في عهد توفيق باشا مدة المراقبة الانكليزية الفرنسوية . والثالثة كرئيس للنظار في عهد توفيق باشا ايضاً زمن الاحتلال . والرابعة كرئيس للنظار في عهد عباس الثاني . ففي المدة الاولى ظهر باعظم مظهر للعالم فقد سخط مما حلّ بوطنهِ من الخراب الذي جرّهُ عليهِ حكم اسمعيل باشا ووقف نفسهُ للاصلاح وقلة من لايهاب احداً في سبيل الاصلاح ايام كان المصري لا يجترئ ان يجاهر برأيهِ ما لم يعرض حياتهُ للخطر ومالهُ للضياع ومهما كان الخطاء الذي يمكن ان يكون رياض باشا قد ارتكبهُ في تقلبهِ في الوظائف بعد ذلك فلا يبرح من الاذهان انهُ اظهر حينئذٍ شجاعة عظيمة حقيقية ونظراً بعيداً في العواقب

وفي اوائل المدة الثانية اي مدة المراقبة الثنائية ظهر ايضاً كما ظهر في المدة الاولى ورأى فالدة الذين كانوا يشتغلون معهُ من الاوربيين لانهم وقفوا بينهُ وبين ارباب الديون الذين كانوا كالذئاب الجائعة . وكان يعلم من نفسهِ انهُ غير قادر على تخليص الحالة المالية من التشويش الذي كان فيها من غير مساعدة الاوربيين . وفي اواخر تلك المدة عرضت مشكلة لم يقوَ على

حلها ولم يكن قد انتبه الى اهميتها وهي الثورة العرابية فجرفهُ سيلها الجارف

وفي المدة الثالثة خلف نوبار باشا رئيساً للنظار وفي اوائل هذه المدة جرت الامور مجرى حسناً . وهو يمتاز على نوبار باشا بحسن الادارة وبمعرفته الامور الزراعية واحوال المزارعين . والموظفون المصريون يهابونهُ هيبة شديدة . لكنهُ كان شديد التمسك برأيهِ فعسر عليهِ ان يدير دفة السياسة في زمن الاحتلال واضطر الى الاستعفاء

ولم يتكلم لورد كرومر على المدة الرابعة لان كتابهُ لا يتناولها . ثم ودَّ لو يكثر في مصر الوطنيون المتصفون باسمى المناقب مثل رياض باشا

وقد ذكرنا ترجمتهُ بالتفصيل في المجلد التاسع والثلاثين من المقتطف

(٤) محمود سامي باشا البارودي

قلنا في الكلام على شريف باشا انهُ لما اخبر مجلس الاعيان بما قرَّ عليهِ قرار فرنسا وانكلترا وهو ان لا حق للمجلس ان يقرر شيئاً في امر الميزانية ذهب وفد منهم الى الخديوي وطلبوا منهُ ان يغير الوزارة فلم يستطع الاَّ ان يجيبهم الى طلبهم وسألهم مَن يريدون ان اعين رئيساً للنظار فقالوا محمود باشا سامي البارودي وكان ناظراً للحربية فقلدهُ رئاسة النظار في ٥ فبراير سنة ١٨٨٢ فجعل احمد عرابي باشا ناظراً للجهادية فزاد ذلك في جرأة الحزب العسكري وزادت سطوة عرابي حتى خطر على بال المسيو ده فرسينيه ان يخاطب عرابي ويتفق معهُ على تسكين البلاد . لكن انكلترا اعترضت على ذلك واخيراً توسط معتمد النمسا والمانيا لدى الخديوي فاسقط وزارة محمود باشا سامي واستدعى راغب باشا لتأليف الوزارة . وقد ذكرنا طرفاً من ترجمة محمود باشا سامي في مقتطف يناير سنة ١٩٠٥ بعد وفاتهِ فانهُ توفي في ٢٢ دسمبر سنة ١٩٠٤

(٥) راغب باشا

هو اصلاً من اهالي المورة ولد بها سنة ١٨١٩ ولما انفصلت تلك البلاد عن الممالك العثمانية رحل منها الى الاناضول ثم جاء القطر المصري في زمن محمد علي باشا رأس العائلة الخديوية ولقلب في مناصب الحكومة وعين ناظراً للمالية ثم ناظراً للجهادية ورئيساً لمجلس النواب ولما استعفى محمود باشا سامي استدعاهُ الخديوي توفيق باشا لتأليف وزارة في ٧ يونيو سنة ١٨٨٢ لكن كانت الثورة قد استحكمت واتسع الخرق على الراقع فلم يقدر ان يدفع مقدوراً

ستأتي البقية